

الصورة الجزئية في معلقة امرئ القيس

Dr. Mijichao

قسم اللغة العربية، كلية اللغات الشرقية وآدابها

جامعة نانقوه للتجارة بتابعة لجامعة كانتون للدراسات الأجنبية والتجارية بجمهورية الصين الشعبية

الملخص

يتناول هذا البحث الصورة الجزئية في معلقة امرئ القيس بمنهج الوصفي التحليلي. تبرز مشكلة البحث في محاولة توضيح مفهوم الصورة الفنية الجزئية بأنها تشتمل على التشبيه والاستعارة والكناية بشكل عام، وبيان ما قد تحمله معلقة امرئ القيس من قيمة فنية جمالية. وتقف هذه الدراسة على أسئلة منها: ما سيرة الشاعر امرئ القيس؟ ما الصور الفنية الجزئية وخصائصها في معلقته؟ ما أثر الصورة الجزئية في معلقة الشاعر؟ يهدف البحث إلى توضيح مفهوم الصورة الجزئية للعلماء، وبيان خصائص وقيمة الصورة الفنية وأثر الصورة الجزئية للمعلقة. اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لبعض الصور الجزئية لموضوع في معلقة امرئ القيس حيث يصف الصورة ويحللها لبيان قيمته الفنية. وتسهم الدراسة في اختيار الأبيات النموذجية ثم نقدها بناحية الصورة الفنية وإعطاء الصورة الواضحة لفهم معاني الأبيات. وقد خلص الباحث إلى أن تقسيم الصورة الجزئية إلى التشبيهات والاستعارات والكنائيات، اهتم الشاعر بالصور البيانية لأنها تدركها الحواس بسهولة حتى يعبروا عما في نفوسهم من الأغراض والأفكار بصورة واضحة.

الكلمات المفتاحية: امرؤ القيس، الصورة الفنية، الصورة الجزئية، المعلقات

Abstract

This study discussed some images in the muallagat of Imru' al-Qais comments through an analytical narrative approach. The problem of the study is to attempt to clarify the concept of some artistic images, as it includes general analogies, metaphors, and metaphors, and to indicate the aesthetic artistic value that the muallagat of Imru' al-Qais may possess. This study raises the following question: What is the biography of the muallagat of Imru' al-Qais? What are the artistic images and their characteristics in his muallagat? What impact do some images have on the muallagat? This study aims to elucidate the concept of partial images by scientists and demonstrate the characteristics of artistic image value and the effect of hanging partial images. In this study, researchers employed descriptive and analytical methods to showcase the artistic value of a partial image of a theme in muallagat of Imru' al-Qais. This study helps to select typical fathers, then criticize them from an artistic perspective, and provide clear images to understand the meaning of fathers. Researchers have concluded that by categorizing some images into analogies, metaphors, and metaphors, poets are very interested in graphic images

because they are easily perceived by the senses so that they can clearly express their goals and ideas.

Keywords: Imru' al-Qais, the Mu'allaqat, partial image, artistic images

مقدمة:

المعلقات السبع هي عيون الأشعار العربية وكنز التراث العربي وهي القصائد الجاهلية العالية، طالما تجذب عيون العلماء في الاهتمام والبحث حول التسمية والعدد والرواية والجمع والشرح والترجمة، فلها المكانة المبرزة في الأدب العالمي. امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (497م - 545م) شاعر جاهلي، فحل من فحول أهل الجاهلية، وهو رأس الطبقة الأولى. وأشهره المعلقة، وهي لامية على البحر الطويل، تكاد تبلغ ثمانين بيتا. فمعلقته تنقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: الوقوف على الأطلال وما يتصل بذلك من ذكريات وبكاء، والثاني هو وصف المغامرات الغرامية ولاسيما يوم دارة جلجل، الثالث هو وصف ما لقيه في تشرده.

في الأغلب تشتمل الصورة الجزئية على التشبيه والاستعارة والكناية بشكل عام، فالصورة الجزئية تلك التي تنطوي غالباً على مشهد واحد ومناخ واحد، ولا تقاس هذه الصورة بقلة كلماتها، فقد تمتد لأكثر من سطر شعري، وقد تكون من ثلاث كلمات.

تدور معلقة امرئ القيس على إظهار عواطف الشاعر، واستخدام الصورة الجزئية لإكمال غرضه وفكرته حتى يرسل غرضه إلى قلوب الناس. يختار الباحث بعض الأبيات من معلقة امرئ القيس، وينتهج المنهج الوصفي التحليلي، ثم يوضح معاني الألفاظ تفصيلاً بجانب الصورة الجزئية، حيث يبحث في بناء الصورة في التشبيه والاستعارة والكناية حتى ندرك تجربة الشاعر وفكرته، كذلك سيبين الباحث القيمة الفنية من خلال توضيح معاني الأبيات.

المبحث الأول: امرؤ القيس حياته ومعلقته

"امرؤ القيس (نحو 130 - 80 ق هـ = نحو 497 - 545 م) بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. أشتهر بلقبه، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر".¹

"ويكنى امرؤ القيس أبا وهب، وكان يقال له الملك الضليل، وقيل له ذو القروح".²

"وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقبته المهلهل الشعر، فقال له وهو غلام، وجعل يشيب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب، ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السمؤال، فأجاره. فمكث عنده مدة. ثم رأى أن

يستعين بالروم على الفرس. فقصد الحارث ابن أبي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانوس Justinianus ويسمى Justinien ler في القسطنطينية. فوعده ومطله. ثم ولاه إمارة فلسطين (البادية) ولقبه (فيلارق) Phylarck أى الوالي، فرحل يريد لها. فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح. فأقام إلى أن مات في أنقرة".³

مكانته الشعرية:

"امرؤ القيس فحل من فحول أهل الجاهلية، وهو رأس الطبقة الأولى وقرن به ابن سلام زهيراً والنابعة وأعشى قيس والأكثر على تقديم امرئ القيس، قال يونس بن حبيب: إن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر، وإن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابعة.

وقيل للفرزدق من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح يعني امرأ القيس. وسئل لبيد من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل. قيل: ثم من؟ قال: ابن العشرين يعني طرفة. قيل له: ثم من؟ قال: أبو عقيل "يعني نفسه". وليس مراد من قدم امرأ القيس أنه قال ما لم تقله العرب، ولكنه سبقهم إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء، منها استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض، والخيل بالعقبان والعصي وقيد الأوابد".⁴

معلقته:

أما المعلقة – ثمانون بيتاً من البحر الطويل – فقد شرحها كثيرون منهم الزوزني والتبريزي. وطبعت مرات مع سائر المعلقات، وترجمت إلى لغات عدة منها اللاتينية والفرنسية والروسية. الباحث على نظمها:

"إن الذي حمل امرأ القيس على نظم المعلقة هو "يوم دارة جلجل" حيث التقى بعنيزة ابنة عمه شرحبيل – وكان هائماً بها – تتنزه بسرب من العذارى، فذبح لها ولهن ناقته، وعلى أثر ذلك نظم مطولته مقاطع مقاطع، على الأغلب، فوصف الحادث وأضاف إليه شتى الذكريات مما جرى له قبل مقتل أبيه، فكانت قصيدته وليدة حبه لعنيزة ووليدة ولعه بالصيد والضرب في البلاد.

وقسم امرؤ القيس المعلقة إلى ثلاثة أقسام كبرى:

- 1- الوقوف على الأطلال وما يتصل بذلك من ذكريات وبكاء (1-8)
- 2- وصف المغامرات الغرامية ولاسيما يوم دارة جلجل (9-42)
- 3- وصف ما لقيه في تشرده:

(1) وصف الليل (42-46)

(2) وصف الوادي يعوي فيه الذئب (47-50)

(3) وصف الفرس والصيد (51-68)

(4) وصف البرق (69-70)

(5) وصف السيل (71-80)⁵

المبحث الثاني: تعريف الصورة الجزئية

أولاً: مفهوم الصورة الفنية

لقد اهتم النقاد المحدثون الصورة الفنية كثيراً، لعل أول دراسة مصطلح الصورة الفنية هي دراسة مصطفى ناصف حيث عرف الصورة بقوله: "إنها منهج فوق المنطق لبيان حقيقة الأشياء".⁶ ثم جاء محمد غنيمي هلال بقوله: "ويرى أن ندرس الصور الأدبية في معانيها الجمالية، وفي صلتها بالخلق الفني والأصالة، ولا يتيسر ذلك إلا إذا نظرنا لاعتبارات التصوير في العمل الأدبي بوصفه وحدة، وإلى موقف الشاعر في تجربته، وفي هذه الحالات تكون طرق التصوير الشعرية وسائل جمال فني مصدره أصالة الكاتب في تجربته وتعمقه في تصويرها، ومظهره في الصور النابعة من داخل العمل الأدبي والمتآزرة معاً على إبراز الفكرة في ثوبها الشعري"⁷.

رأى علي علي صبح الصورة الفنية بأنها: "الصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصالة في التنسيق الحي لوسائل التعبير التي ينتقها وجود الشاعر - أعني خواطره ومشاعره وعواطفه - المطلق من عالم المحسات ليكشف عن حقيقة المشهد والمعنى في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"⁸ كما يرى أن لصورة الفنية "ليست كما في الواقع والطبيعة، ليست فكراً مجرداً، لأنها مشدودة إلى العالم الفكري الوجداني من جهة، وإلى عالم المحسات من جهة أخرى، وهذا هو الفرق في الجوهر بين الصورة التي خرجت من معالم الفن المصنوع بالمشاعر والخواطر والعواطف، وبين الصورة المحسة في الطبيعة التي لم يحدد الفن العلاقات بين أجزائها، وتوضيح أشرار العلاقات بينها هو مناط الخيال من التصوير الأدبي"⁹.

ثانياً: مفهوم الصورة الفنية الجزئية

في الأغلب تشتمل الصورة الجزئية على التشبيه والاستعارة والكناية بشكل عام، فالصورة الجزئية تلك التي تنطوي غالباً على مشهد واحد ومناخ واحد، ولا تقاس هذه الصورة بقلة كلماتها، فقد تمتد لأكثر من سطر شعري، وقد تكون من ثلاث كلمات.

وعصر الجاهلية عصر البداوة، كان الناس يعيشون في بيئة محدودة الأخبار والحياة، لذا وصفوا ما رأوه وسمعوه بين أيديهم، كذلك شبهوه بما أدركوه في حياتهم، ولذلك التشبيه في المعلقة ذات السداجة والوضوح والتجرد. اختار الباحث النماذج من الصورة الفنية الجزئية من معلقة عمرو بن كلثوم من حيث أساليب التشبيهات والاستعارات والكنائيات بالتفصيل.

المبحث الثالث: التشبيه وبناء الصورة في معلقة امرئ القيس

التشبيهات قريبة وجه الشبه تكون أكثر في المعلقات، لئلا في معلقة امرئ القيس من وصف قلبه عند فراق الحبيبة:

كَأَيِّ غَدَاةِ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا
لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ¹⁰

معناه في يوم رحلة الحبيبة مع قبيلتها والفراق مني، فوقف وحيدا في ظل أشجار السمر وأنا شديد الحزن، أتابع ارتحال الحبيبة، فانصبت دموعي غزيرة وكأني جاني الحنظلة ينقفها بالظفر ويستخرج الحب منها، كان العرب يأكلون حبه ويسمونونه الهبيد، حيث ينقع بماء وملح ويشرر في الشمس ويبدل ماءه حتى تذهب مرارته، ثم يدق حيث يخرج منه زيته ويضاف إليه بعد ذلك الطحين ليعمل منه عصيدة. ولا يأكل إلا عند الجوع حيث يسبب الإسهال عند الإكثار منه.

شبه الشاعر نفسه بناقف حنظل حين فارق حبيبته، حيث ذكر المشبه "أنا" أي الشاعر نفسه، والمشبه به "ناقف حنظل"، وأداة التشبيه "كأن"، وجه الشبه هو المرارة في الكل، المرورة في قلب الشاعر من أجل مفارقة الحبيبة والمرورة في شق الحنظل، أي اعتزلت أبكي كأني ناقف حنظل، لأن ناقف الحنظل تدمع عيناه لحرارة الحنظل دلالة على غزارة دموعه مشيراً إلى عذاب الفراق لأن من ينقف الحنظل أي يشقه يجد طعمه مرّاً في حلقه وإن لم يذقه. وصف الشاعر شعوره عند مفارقة الحبيبة بدقة ووضوح حتى يشعر المتلقي ما شعر به في نفس الوقت بتشبيه المعقول بالمحسوس.

إن الشاعر استخدم "حنظلة"¹¹ دلالة على مرارة في القلب وحزنه معنويًا، كذلك لها المعنى الحقيقي، اجتمع الوجهين من أجل إظهار شدة المرارة إلى أقصى حد، وطعم نبات الحنظل مر بدرجة لا يتوقعها أحد إلا من جرب طعمه فهو شديد المرارة وتكمن هذه المرارة في جذوره وأغصانه وورقه وثمره، وكانت العرب ولا زالت تقول عندما تشد المصيبة عليهم من حدث ما... تطلق على ذلك الشيء بـ ((علقم)) فتقول ((أمر من العلقم))، أيضا قول المثل "أمر من الحنظلة" يضرب كناية عن المرارة، وكانت العرب تسمي أبناءها بهذا الاسم ليعدونهم لأعدائهم ويلحقون بهم مرارة الهزيمة.

على كل حال كان الشاعر الجاهلي لا يستخدم كلمة إلا لها قيمة، فيشبه شيئا بما يدركه في الحياة اليومية حتى يشعر الناس ذوقا حقيقيا بما يشعر الشاعر.

بعد ذلك وصف الشاعر أصابع الحبيبة:

وَتَعْطَوُ بِرَخْصٍ غَيْرِ شَنْ كَأَنَّهُ
أَسَارِيْعُ ظُبِيٍّ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحَلٍ¹²

"قال الشاعر إن الحبيبة تناول الأشياء بالأنامل الناعمة اللينة، كأنها دود ظبي وأغصان شجرة الاسحل"¹³، فحذف المشبه (أنامل) وذكر صفته (رخص) فيه التأمل والتفكير حيث أن الإنسان يتناول الشيء بالأنامل والأصابع، أما المشبه به يتكون من الشيبين (أساريع ظبي) و(مساويك إسحل)، أي شبه الشيء بالشيبين، والمحسوس بالمحسوسين،

أما (أساريع ظبي) فهو دود يكون في البقل والأماكن النديّة، أما صفته "دود بيض حمر الرؤوس تكون في الرمل وفي واد يعرف بظبي"،¹⁴ أي هي تشبه أنامل النساء في بياضها، أما (مساويك إسحل) أي غصن شجرة إسحل، هي شجرة تدق أغصانها في استواء، في إظهار دقة الأنامل واستوائها، فالشاعر يصف الأنامل من اللين والدقة والنعومة اعتماداً على الخصائص المتميزة من الحيوان والنبات حتى يعطي الناس التخيل المباشر في صورة الأنامل للنساء.

بعد ذلك استخدم امرؤ القيس التشبيه في وصف نور وجه الحبيبة تحت ظلال الليل:

تُضيءُ الظلّامَ بالعِشاءِ كأنّها منارَةٌ مُسمَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ¹⁵

هو التشبيه المركب بالمركب حيث إضاءة نور الوجه تحت ظلام الليل مثل مصباح الراهب المنقطع عن الناس والذي يمشى في الليل، فشبه المحسوس بالمحسوس، في إظهار براءة الوجه للعشيقة، أما مقصود الشاعر في استعمال التشبيه فيه يتركز فيما يلي:

أولاً: وضوح إضاءة نور الوجه للعشيقة.

ثانياً: صفة الهدوء والاطمئنان للعشيقة حيث الراهب يحمل المصباح في الليل الهادئ.

ثالثاً: صفة التقى والخشوع للعشيقة، من اللفظ (متبتل) لصفة الراهب بأنه انقطع عن الناس واختص بطاعة الله تعالى ويعكف على العبادة لا ينفك عنها حتى يموت، اظهر (إظهار) خلق العشيقة الصافي والرفيع.

رابعاً: الحب الشديد والنبيل لها، بأن مصباح الراهب يهتدي الناس به في الظلام، أما نور وجه الحبيبة فهو يهدي الشاعر إلى الحب، ويجذب قلب الشاعر إلى العشق، كأنه مرمى الحياة للشاعر، إذا انطفأ فأظلمت الحياة كلها.

المبحث الرابع: الاستعارة وبناء الصورة في معلقة امرئ القيس

أما الاستعارات في المعلقة فهي كثيرة، أحياناً استعيرت الأشياء القريبة من حياة الإنسان حتى تفهمها عقول الناس مباشرة، كما قال الشاعر امرؤ القيس:

أغرَّكَ مِنِّي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ¹⁶

استخدم الشاعر الاستعارة المكنية في البيت حيث حذف فيها المستعار منه (سيف)، ورمز له بشيء من لوازمه (قاتل) أي اللفظ المستعار، كذلك هو على إجراء الاستعارة التبعية بأن اللفظ (قاتل) اسم مشتق، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي (حبك)، بأن الحب مستحيل في قتل القلب بل أنه يذل ويسيطر على القلب، فشبه حب الحبيبة بالسيف الذي قتل القلب قتلاً مدلاً، أراد الشاعر أن يعبر عن شدة تذل القلب لحبيته، استعار الشيء الحسي في الشيء المعنوي حتى يوضح الصورة في العقول. من المعروف أن امرأ القيس فارس شجاع وملك، فلا يخاف من قتل الأعداء والموت، لكن عندما نظر إلى حبيته، فإن حبها قتله، كأن أشد القتل منه في حياته هو

حب الحبيبة، فجعل حبها إلى أقصى الدرجة حتى يساوي عنده القتل والموت، يظهر قيمة الحب في قلب الشاعر باستخدام الاستعارة.

وفي وصف كواكب السماء بأحسن التصوير يقول:

إِذَا مَا الثَّرِيًّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الْوَشَاحِ الْمَفْصَلِ¹⁷

معناه "تجاوزت إليها في وقت إبداء الثريا عرضها في السماء كإبداء الوشاح الذي فصل بين جواهره وخززه بالذهب أو غيره عرضة".¹⁸ صرح الشاعر في البيت بلفظ المشبه به (الوشاح المفصل)، أي بأسلوب الاستعارة التصريحية، أثناء الوشاح: من زينة النساء ينسج من السيور الحمر، ويرصع باللؤلؤ والزبرجد، فتتوشح به المرأة فوق عاتقها وتحت يدها، إذا نريد أن نعرف روعة الصورة في البيت لا بد أن نعرف خصائص نجم الثريا، وكان لنجم الثريا مكانة كبيرة عند العرب، فورد اسم الثريا في كثير من قصائد الشعراء منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر، هو اسم لمجموعة سبعة كواكب واقعة في عنق برج الثور. سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المجال المتجمعة فيه، كذلك هو نجم المطر والخير، فشبّه الشاعر نجم الثريا بالوشاح الذي فصل بين جواهره وخززه بالذهب، أما أسباب جمال الصورة فنيا، أولاً: بأن الوشاح مربوط ومنظم ومرتب في وسط المرأة المتوشحة، فالثريا بصفة منظمة الترتيب وضيقة المسافة المتجمعة في وسط السماء، أما الثاني: بأن الوشاح من الذهب أو الفضة فهو ذات البرقة، كذلك الثريا هو أبرق وألمع النجوم في السماء، الثالث: بأن كليها زينة، فالثريا زينة السماء فيظهر الصورة الجميلة، كذلك الوشاح من الذهب أو اللؤلؤ زينة للجسم.

ومن أمثلة الإستعارة عند امرئ القيس:

فَقَلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ¹⁹

الاستعارة في (تمطى بصلبه) من الاستعارة المكنية "التي لا يصرح فيها بلفظ المشبه به، بل يطوي ويرمز له بلازم من لوازمه، ويسند هذا اللازم إلى المشبه.²⁰ فهو يتخيل الليل الطويل جملاً يتمطى، ثم حذف المشبه به (الجمل) وأبقى إحدى صفاته (تمطى) وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، الليل أمر معنوي لا نلمسه حقيقة، لكننا نرى آثاره وهي الظلام والسواد، ونفس الشيء يقال في: أردف أعجازاً، وناء بكلكل، فهما استعارتان مكنيتان تعبران عن ازدياد أواخر الليل طولا، وثقل أوائله، وكل ذلك تشخيص لما في نفس الشاعر من غم وهم. معناه: "قلت لليل لما أفرط طوله وناءت أوائله وازدادت أواخره تطاولاً، وطول الليل ينبئ عن مقاساة الأحران والشدائد والسهر المتوالد منها، لأن المغموم يستطيل ليله، والمسرور يستقصر ليله".²¹ شبه الشاعر الليل الذي لا يتناهى على الحد بالحيوان المحصول بالعيون، يتكلم عن الليل واستعار من البعير بالأفعال (الأفعال) المترادفة "تمطى" و"أردف" و"ناء" وأسماء أعضاء الجمل "صلب" و"أعجاز" و"كلكل".

بعد "ما قلت له" ليس متعديا فلم يقل ما يقول بل أهم منه من التصوير الرائع، فصل الشاعر القول والمقول به، نرى ماذا وقع في النفس في هذا التصوير، نتخيل أن الشاعر امرأ القيس يقف على الجبل أو على شاطئ البحر، ويحيط به السواد من كل جانب، من الشمال إلى اليمين، ومن الخلف إلى الأمام مع أن شعوره بالحزن والغم، أن الليل طويل ومظلم، كأن الظلام جعل طويل ذا جسم ضخم جدا، في أمام الجسم له الصدر يكاد أن يقوم، لأن الجمل إذا أراد أن يقوم فيركع على صدره ويتمطى بصلبه ويردف المآخر، فكاد أن يذهب، فوسطه ممتد و"ناء بكلل" أي أواخره بعيدة وطويلة جدا، إذا قام فقام ببطء وثقل، إذن صعب عليه أن يقوم، كذلك صعب على الشاعر أن يذهب عنه الهم والغم، فالشعور هجم عليه فجأة خلال هذه اللحظة التصويرية، حينما أراد الشاعر أن يقول ما يشاء فوجد الحال أمامه كادت نفسه تحتنق، لذلك يقف في الكلام فوصف المنظر أمامه، أدى وحدة شعورية معينة له، وزع الشعور في المعنى، بدأ الكلام في أول البيت ثم قطعه ثم يتم الكلام في البيت الثاني، فعل الشاعر هذا متعمدا من أجل إتمام المعنى المقصود وازدياد حزنه.

المبحث الخامس: الكناية وبناء الصورة في معلقة امرؤ القيس

كان امرؤ القيس في معلقته كثير الكنايات، واخترت من كناياته ما يلي:

وإن تك قد ساء تك مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل²²

قال الشاعر إن ساء خلق من أخلاقي وكرهت خصلة من خصالي فردي على قلبي أفاركك، أي استخرجي قلبي من قلبك يفارقه. في البيت كناية الشاعر عن القلب بالثياب كناية عن النسبة، لو يعبر الشاعر عنها بصريح اللفظ لقال: فسلي قلبي من قلبك، ولكنه بدل من التصريح إلى ما نرى من الكناية، فجعل كونها في الثياب عبارة عما يجاوره ويقرب منه من القلب، نسبة القلب إلى الثياب، فخرج كلامه إلى ما خرج إليه من الجمال والبراعة. كأن امرؤ القيس أنكر صفته من الإساءة من تنكير اللفظ "خليفة"، صور حبه الصارم لها بأنه لا يتصف بالأخلاق السيئة فلا تستطيع أن تنتزع قلبك من قلبي، لأن قلبك في داخل قلبي، وفي اللفظ "سلي" دلالة على إخراج الشيء من داخله، لأن أصله انتزاع السيف من غمده، معروفا أن السيف في داخل الغمد، فإن الشاعر لم يصرح بالقلب مباشرة بل يذكر ما يجاورها من الثياب لكي يكرم قلوبهما ويحمي جبهما حيث إن الثياب تحمي القلوب في الظاهر، كذلك من تصوير الكائنات بالظواهرات تشكيل الكائن.

عندما وصف الشاعر جمال الحبيبة ونعومتها وكرامتها بقوله:

وتضحى فتبت المسك فوق فراشها نؤوم الضحي لم تنطق عن تفضل²³

معناه أن فتات المسك يكثر على فراشها وأنها تكفي أمورها فلا تباشر عملا بنفسها، فلها من يخدمها ويكفيها أمورها.

"نؤوم الضحى" كناية عن الترف، بأنها تنام حتى في وقت الضحى، فتكثر النوم ولا تهتم بشيء آخر، ولها من يكفيها من الخدم، فاللفظ "تنتطق عن تفضل" كناية عن النعومة أى لم تنتطق لتعمل، ولا تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب الفضلة (هي ثوب واحد يلبس للخفة في العمل)، يريد أنها مخدومة منعمة، دلالة على خفض العيش لها.

فالشاعر ليس يصف حبيته وصفا جسميا بدنيا فقط، بل وصفها وصفا معيشيا، صفة النعومة والرفاغة في "نؤوم الضحى" أى هي تستيقظ متأخرة حتى ظهور الشمس بغير ضوء الفجر، فالاستيقاظ في وقت الضحى عند العرب ليس مبكرا، كذلك في "لم تنتطق عن تفضل" لأن تنتطق عن تفضل هو علامة العمل، عند العرب كانت المرأة تشد وسطها بنطاق حتى تسهل العمل، فالشاعر يستخدم "لم" قطعيا في النفي أى لم تشد وسطها بنطاق ولم تر في حياتها يوما شاقا، لم تصبها مشقة الدهر إشارة إلى طول النعومة في حياتها ودلالة إلى نسبها الكريم، هذا ما أراد امرؤ القيس من أنها ما كانت منعمة في الحياة منذ المولد، لكن إرادة البيت ليست محصورة على هذا الحد من التصوير الحياتي، بل ظهر صفتها الكبر والكسل من الصورة الحياتية، فشخصية الشاعر ذات فخر وكبرياء، ولعل سبب انجذب الشاعر إليها هذا الكبر المتمثل في البيت.

كذلك قال الشاعر امرؤ القيس في وصف طول الليل:

فيا لك من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ شدت
بأمراسِ كتَّانٍ إلى صمِّ جندلٍ²⁴

فيكفي عن طول الليل له بأن النجوم مشدودة بالحبال إلى صخور الجبل، هو تصوير ساذج على ضيقه بطول الليل وهمومه.

الشاعر واصل في وصف ليلته فتخيل ما في ذهنه من الهموم، كأن نجوم الليل مربوطة ومشدة بحبال الكتان إلى صخور صلاب مشاركة إلى أن نجومه لا تزال في أماكنها ولا تغرب، وإنما استطال الليل لمعاناته الهموم ومقاساته الأحزان فيه، لنذهب مع الشاعر إلى الصورة الجميلة التي تملأ في السماء النجوم الكثيرة والمتوهجة، فوق الصحراء الشاسعة أو المكان المنتهي البعيد، والنجوم في ذلك المنظر أبهج وأبرق وأضح في عيون الناس، كأنها قريبة جدا تستطيع أن تأخذها مباشرة، كأنك تدخل إلى العالم الآخر من مجموعة الثريا، فإن الشاعر يتخيل ما حوله من الأشياء، فصورة النجوم والجبل والحبال والصخر هي أقرب في ذهنه أن يأخذها مباشرة في التصوير، وهذه النجوم مربوطة بحبال من الكتان إلى الصخور، فهذا الفنان العالي تخيل الصورة المستحيلة، أن الجبل راسخ وقوي لا يتحرك، فشددت النجوم فيه فهي لا تستطيع أن تغادر منه، كلها دلالة على طول الليلة، وشدة الهموم للشاعر، تمنى الشاعر أن تزول النجوم ويصبح الفجر، لكن النجوم مشدودة ومربوطة في السماء بحبال الكتان، فاللفظ (صم جندل) فيه الشدة والعنف والقوة والثبات، كأن النجوم لا تستطيع أن تزول أبدا، حاله مثل حال المريض الذي أصيب بالألم

الشديد في الجسم، فلا يستطيع أن ينام بسبب المرض الأليم والقسوة الشديدة، فليلته طويلة حتى لا نهاية، فالشاعر يربط الصورة الجميلة بمشاعره الحزينة كأنه أراد أن يخفف همومه بالصورة البهيجة.

الخاتمة

خلال المعاملة مع معلقة لامرئ القيس من حيث قراءة الأبيات وتحليلها وتذوقها، كأنه أمامي بعد مرور الزمان الطويل، فهو شاعر من أصحاب الطبقة الأولى، أي له القصائد الفريدة، ولكن له قصيدة واحدة طالت وجادت وصار صاحب الواحدة، ومعلقته ذاتية ملتزمة والتي ارتجلها في حضرة عمرو بن هند، ألفاظها سهلة الفهم وسهلة التركيب، ومعانيها تظهر فكرة الفخر حتى في شعر الخمريات والغزل، ولعل من أبرز النقاط التي أود أن أبرزها هي: أولاً: تتكون معلقة امرئ القيس من ثلاث مراحل حيث فيها مجموعة من الصورة الجزئية من التشبيهات والاستعارات والكنائيات.

ثانياً: تظهر الدراسة أن أسلوب الشاعر بأن أسلوب الشاعر يسهل حيث تطلب السهولة، ويشدد أسره حيث يقتضي المقام ذلك، فكلامه في الغزل رقيق لطيف عذب، يتلاءم مع المتغزل بها رقة ورشاقة، كأنما يتخيره من لؤلؤ رطب.

ثالثاً: دور الصورة الجزئية في فهم الشعر هو تحريك الجوامد وتحميد المعنوي وإدراك الصورة الواضحة في ذهن المتلقي. رابعاً: الصورة الجزئية عند امرئ القيس ليست التصوير المجرد فقط، بل أراد أن يظهر ما في نفسه من الغزل والحزن والشجاعة والفروسية فأدى غرضه بالأساليب الفنية إلى أقصى المناسبة.

خامساً: وصف الشاعر ما يدور حوله من صور البيئة الإجتماعية والثقافية في عصر الجاهلية. سادساً: قدرة الشاعر امرئ القيس في إيجاد مجموعة من الصورة الجزئية التي تعمل على دمج العلاقات لتعطي صورة فنية تعكس الصورة الخيالية للشاعر.

- 1 - خير الدين الزركلي الدمشقي الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، ج 2، ص 11.
- 2 - المعلقات الشعر وأخبار قائلها، ص 4.
- 3 - الأعلام، ج 2، ص 12. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ج 9 ص 93.
- 4 - طبقات فحول الشعراء ص 51.
- 5 - حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي، للمكتبة البولسية، الطبعة الثانية عشرة 1987م، ص 82.
- 6 - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ص 8، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثالثة 1984م.
- 7 - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 387، دار نهضة مصر، القاهرة 1997.
- 8 - علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، ص 149.
- 9 - علي علي صبح، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، ص 154.
- 10 - ديوان امرئ القيس ص 111.

- 11 - "يظهر نبات الخنظل في الصحراء بالجزيرة العربية وخصوصاً في طريق الطائف القديم وزيت بذور الخنظل يفيد في علاج المفاصل وآلامها وعرق النساء ونافع أيضاً لداء الثعلبة والجزام وقطع النيف وآلام العصب والقرص ويمزج الخل في المضمضة لآلام الأسنان كذلك بخور جذوره لآلام الأسنان أيضاً." فيصل بن محمد عراقي، الأعشاب دواء لكل داء، الطبعة الأولى 1413هـ، ص 93.
- زيت بذور الخنظل يفيد علاج المفاصل وعرق النساء دهاناً وشحمه يسهل البلغم شراباً ونافع لداء الثعلبة والجذام، وورقه الغض يقطع النزيف ويحلل الأورام". ابن سناء، القانون في الطب.
- 12 - ديوان امرئ القيس ص 116.
- 13 - محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت الطبعة الثانية، ج 27، ص 445. الإسحل بالكسر: شجر يشبه الأثل منابته منابت الأراك في الهول يستاك به أى بقضابانه.
- 14 - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة 2005م، ص 727.
- 15 - ديوان امرئ القيس ص 116.
- 16 - ديوان امرئ القيس ص 114.
- 17 - ديوان امرئ القيس ص 114.
- الثريا: تصغير ثروة، والثروة الكثرة، وهي مجموعة من النجوم كثرت، والعين الآن ترى منها ست نجوم.
- 18 - ديوان امرئ القيس، ص 23.
- 19 - ديوان امرئ القيس، ص 117.
- 20 - علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص 186.
- 21 - شرح المعلقات السبع للزوزني، ص 36.
- 22 - ديوان امرئ القيس، ص 113.
- 23 - ديوان امرئ القيس، ص 116.
- 24 - ديوان امرئ القيس، ص 117.

المراجع

- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود شاكر، دار المعارف مصر 1952م.
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية.
- أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، المكتبة العصرية، الدار النموذجية المطبعة العصرية 1426هـ - 2005م.
- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار، الطبعة الرابعة 2015م.
- حسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، أو أبو عبد الله الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي، للمكتبة البولسية، الطبعة الثانية عشرة 1987م.
- خير الدين الزركلي الدمشقي الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.
- علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية.

- فيصل بن محمد عراقي، الأعشاب دواء لكل داء، الطبعة الأولى 1413هـ، ص93.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت الطبعة الثانية.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة 2005م.
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نضضة مصر، القاهرة 1997.
- مصطفى عبد الشافي، ديوان امرئ القيس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الكبعة الخامسة 2004م.
- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثالثة 1984م.